نحن نرجح ان جمهرة البشر تفعل ما تفعل وتترك ما تترك عن إقتناع شخصي بصحة مسلكها بل قد تري ان الصواب هو ما تعرف وتألف وأن الخطأ هو ما يصنعة الأخرون!..

ثم أعذار تكتنف هذه النظرة الخاصة وتسوغ حيفها في بعض الاحيان لذا فإن التدين من أعظم دعائم السلوك ا لانساني ، ولكن المرء لا يختار ابتداء الدين الذي يسير وفق تعاليمة ، وذلك لأن البيئة التي ولد فيها هي التي تذودة بأركان هذا الدين وتوثق به مشاعرة ثم ينمو الانسان وينمو عقلة وادراكة لما عندة و عند غيرة وحينئذ يبدأ جهدا عقليا صامتا للموائمة بين ما ورث وبين استقلالة الفكري الواجب.

وغالبا ما يقر الانسان ما انحدر إلية عن اسرتة وقومة فلن يعدم فية جوانب خير تغري بقبولة واحترامة ولن يعدم عن الآخرين نقص يجعلة يصد عنهم ويري ما ورثة احظي بالاستبقاء والرعاية .

واغلب الناس في كل زمان ومكان من هذا القبيل؛ وعندما تثيره قضية معينة من شأنها زلزلة اعتقادة المورث عن اسرتة وقومة ويبدأ العراك النفسي علي شئ من الشدة فان الانسان كي يبقي مكانة يضاعف احساسة بما لدية من خير موهوم كان ام حقيقي ويضاعف احساسة بما عند الآخرين من شر موهوم كان ام حقيقي كذلك ثم يظل علي علي عقيدتة ومنهجة لا يريم.

ومن هنا امتلأت الارض بأصحاب الملل والمذاهب المختلفة والمتناقضة ، فكم من مسئ خدعتة نفسة فظن القبيح حسنا واستنبطة عقيدة ودعا إلية مذهبا ومضي في دروب الحياة يظهر بة ويقاوم ما عداة.

لكن العجيب في الامر ان الانسان قد يضيق اذا بخس حقة في سلعة دفع ثمنها كاملا ويشعر بسوء المعاملة و الظلم ، بيد ان هذا الانسان نفسة لا يشعر بكبير حرج عندما يصدر حكما خاطئا علي امر من الامور، او عندما يقتنع بصدق أسطورة مبتورة الصلة بالواقع.

وقد حرك القرآن الكريم جمهور المشركين كي يستنبطوا طبيعة ما لديهم من عقائد ومذاهب وأهاب بهم ان يعيدوا النظر في تقويمها وان يكشفوا الغش الذي زين لهم قبولها وساءلهم الدليل علي ما هبوا الية؟

(أمِ اتخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكمْ هَذَا ذِكرُ مَن وَذِكرُ مَن قَبْلِي بَلْ أكثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الحَقّ فَهُم مُعْرِضُونَ (24) }

الأنبياء[24]

ولنا هنا مقام التنديد بقوم ألغوا عقولهم ، واتبعوا ما انتقل اليهم عن آبائهم فإذا بدا لهم خلطة اصروا علية ، لبلا دة غلفت عقولهم بالتعصب وجعلتهم يردون هاديهم إلي الحق بهذا الجمود..

{ قَالَ أوَلَوْ جِئتُكم بِأهْدَى مِمّا وَجَدتمْ عَلَيْهِ آبَاءَكمْ قَالُوا إنّا بِمَا أرْسِلتُم بِهِ كافِرُونَ (24) }

الزخرف[24]

اذا فالسؤال هنا هو كيف يعرف الانسان هل هو علي الحق ام الباطل ؟

نعم هذا هو السؤال الذي يجب طرحة وعلي كل منا البحث له عن اجابة ليعلم كل انسان حقيقة معتقدة ومذهبة فان كان الذي هو علية الحق وجب علية التمسك بة والسير خلف تعاليمة ، وان كان الذي هو علية الباطل وجب علية التخلي عنة وتركة والاسراع الي الحق والسير في طريقة .البعض قد يقول لما هذا العناء علي ماذا كل هذا التفكير ؟!.

أقول ان هذا العناء هو ما خلقت لاجلة وقد هيأك الخالق لذلك السبيل وميزك بالعقل والقدرة علي التفكير وذلك لهدف خلقنا الخالق لاجلة الا وهو البحث عنة ومعرفة مرادة من الخلق فإن لم يفعل الانسان ذلك فان كل المزايا التي وهبها لة الخالق وميزة بها عن جميع المخلوقات لم يستعملها الانسان استعمالها الصحيح منصرفا الي الملزات والمتع الجسدية من طعام وشراب ونكاح فهذا الانسان علي حالتة هذه لا فرق بينة وبين الحيوان فالاثنين هنا لا يشغلهم سوي متعة اجسادهم فهو يعيش ليأكل ويشرب ويتكاثر ليس الا والعقل مهمل والفكر معطل فهؤال الناس هم افقر الخلق علي وجة الارض وان كانوا اغني الناس وان امتلكوا القصور والمناصب

فما الفائد ان ملكت الدنيا وانا لا اعلم مصيري ومصير ما املك عندما اموت فلو تاملنا حياة كل من الغني و الفقير ستجد ان مراحل خلق كل منهم واحدة لا فرق بينهم وانهم يخرجون من بطون امهاتهم عرايا لا فرق بينهم ثم يتركوا الدنيا كما جاؤها لم ياخذ احد شئ معة فالحقيقة اننا يجب ان نفكر في خلقنا ومصيرنا لان الدنيا بالنسبة لنا مسئلة وقت وتنتهي فيجب ان نستغل حياتنا القصير هذه لمعرفة الحقيقة الكبيرة وراء هذا الكون وهؤلاء الخلق الذين نحن جزء لا يتجزء منهم انه الاله القدير المبدع الجبار الذي خلق كل شئ في احسن تصوير ومعرفة سبب الخلق ان نظرت حولك بتمعن ستجد اناس يبحثون وآخرون يلهون ستجد حولك الصالحون والفاسدون فهذا صراع بين الخير والشر وهذه الحياة هي حلبة هذا الصراع العنيف فهل فكرت لماذا وما الجائزة التي يسعي خلفها هذين الخصمين نحن لا نعلم ولكن من خلقهم اعلم لذلك علينا البحث عنة والسير الية فلدية اجابات لكل ما نسأل.

وان ظن فريق من البشر انة لا يوجد ما يسمي بإلة فما دليلهم وما برهانهم لن تجد وراء ادعائم غير اهوائم وخيالهم المريض يقولون ان هذا الوجود كلة مجرد صدفة كونية وان الخلق خلقوا خلق عشوائي لا نظام لة فهو خاضع للصدفة ولكن عندما ندقق حولنا نجد نظاما دقيقا جدا في تكوين كل ما حولنا وقد اثبت العلم الحديث ان هذا الكون لا مجال فية للصدفة وسأحاول شرح هذا ببعض التفصيل للوقوف علي الادلة والبراهين التي تنكر ادعاء هؤلاء الملحدين .

انا لست هنا لاتفاخر عليك او ان اقلل من شأنك وشأن اعتقادك فما انا وانت سوي عصفورين في نفس القفص وانما انا هنا لابحث معك عن إجابة لتساؤلاتي وتساؤلاتك والوصول الي هدف مشترك وضالة وحيدة هي معرفة حقيقة اعتقادنا باللّٰه دون اي تعصب او تحيز لمذهب فدعنا ننحي التعصب والتحيز جانبا ونولي الحقيقة اهتمامنا الاول والوحيد ولنحكم عقولنا فالذي سوف اسير وفق تعاليمة واجعل منة معتقدي واقتناعي يجب ان اكون مقطنع بة اولا لان الاختيار هنا يتحدد علية مصيري كلة فالامر ليس مجرد عقيدة واقتناع بل هو اكثر من ذلك بكثير انة الايمان باللّٰه الخالق والسعي الي رضاه اللّٰه وطاعتة فيما امر لنيل ثوابة ورحمتة و الجنة والبعد عن معصيته فيما نها عنة لتجنب سخطة والنار والسؤال هنا انك لو علمت ان هناك مرضا خطيرا بداخلك فما يكون لك الا الذهاب الي الطبيب في الحال لتلقي العلاج المناسب والتخلص من المرض ، ولو انك علمت انه سيكون عندك امتحان بعد اسبوع فما يكون منك الا الاسراع للمذاكرة لتجنب الرسوب والفشل في الا متحان ، فماذا لو قال لك احدهم انك ستموت في نهاية هذا العام ماذا ستفعل؟ هل سوف تسعي لزيادة مرتبك ام انك ستسافر في رحلة حول العالم قبل ان تموت في الواقع لا هذا ولا ذاك فلو اخبرك طبيب بذلك فماذا تفعل ليس عندك اي فكرة لانك سوف تكون فريسة الاكتئاب والزهول والفزع لن تبالي حتي ان خسرت منصبك او اذا ضاعت ثروتك لان الآن عندك الاهم لتقلق بشأنة الا وهي نفسك لقد تعلمت كيف تستعد للجوع وكيف تستعد للعطش فانك وان جعت اكلت وشبعت وان اشتد بك العطش شربت وارتويت وان خشيت الفقر بحثت عن عمل وان اردت اطفال تزوجت وان شعرت بالتعب والنعاس نمت فقل لي كيف تستعد للموت لا فكر لانها بـ النسبة لاي انسان فكرة مؤجلة ولا تخطر ببال الكثير مع العلم بان العمر غير معلوم ويمكن للموت ان يدق بابك في اية لحظة وانت لا تدري وانت غير مستعد للموت ومن منا يستعد بل وكيف نستعد وقد علمنا ان كل من ع ليها فان نعم سوف اموت اليوم غدا السنة القادمة بعد مائة سنة المهم انني ساموت فهل فكرنا لماذا نموت ببساطة انتها الوقت المخصص لك في الامتحان لذا فعليك المغادرة وتخلي المقعد لغيرك ليختبر وبعد ذلك يكون الحساب فمن عمل صالحا يجزي بة ومن عمل سوء يجزي بة ايصا انت وعملك ولكن انت الآن في الدنيا حي ترزق وقد علمت او كنت تعلم ان هذه الدنيا دنيا اعمال وان ما تعمل فيها تسأل عنة لكن ربما تسأل كيف اعلم ان عملي هو العمل الصحيح ببساطة فكر لمن تعمل ولماذا تريد فعل الصواب والابتعداد عن الخطأ من من تخاف ومن سيحاسبك انة اللّٰه خالقك وخالق كل شئ ومليكة فالاحري هنا هو البحث عن حقيقة اعتقادك ب اللّٰه وهل ما انت علية هو ما امرك بة ربك ام انني علي باطل وان ما اتبعة انما اهواء ابتدعها اصحاب القلوب المريضة والنفوس الفاسدة الملوثة بالكفر والطغيان وانني ولدت فوجدت نفسي فيما انا فية وكذالك ابي وامي ولكنهم شغلتهم هموم الحياة وصرفهم عن البحث طول الطريق بل ولم يجدوا من يرشدهم او من يكشف لهم التزيف والتزوير ودعني اسوق اليك هذا المثال قبل كل شئ فلنفترض انك قمت بعمل يخالف القانون سرقت مثلا وقد امرك اهلك بذلك ركز معي هذا مجرد افتراض ثم وانت تقوم بالسرقة رأك احدهم وجاء ليمنعك فقتلتة واخذت ما سرقت وعندما هربت من الباب فوجدت الشرطة عند الباب هل ستعفوا عنك الشرطة عندما تخبرهم ان السرقة امرك بها اهلك وقتلك للرجل كان دفاعا عن نفسك بالقطع لا والف لا بل انت من سوف يحمل جرم السرقة وجرم القتل وحدك لانك انت فعلت فلا تلومن الا نفسك .

فخذ معي هذا المثال وطبقة علي اعتقادك ومذهبك ماذا لو ان ما انت علية عند الله باطل وانت ماذلت مرتبط بهذا الباطل لم تفكر طرفة عين ان تدقق وتتمعن فيما هو المفروض اعتقادك ومايشكل قناعتك تسير علي الدرب اعمي وقد انعم الله عليك بنعمة البصر فلماذا لا تري الاجابة تكاد تكون واضحة انة التعصب المذهبي الذي ظلوا لسنوات يزرعوة بداخل كل منا واقناعنا بان ما لدينا حق وما عند غيرنا باطل وان كنا لا نعرف حتي ما عند غيرنا وما حقيقة اعتقادهم الكل يعتقد انا ما عنده هو الحق وما عند غيرة باطل وبدا تكفر كل طائفة ا لاخري ومما يسير الدهشة ان الخلاف والتعصب تغلغل داخل اصحاب المذهب الواحد والعقيدة نفسها فكيف يعقل الا نؤمن بنفس الشئ ولدينا نفس الدين والعقيدة ليس الكل صالحون بل اكثر الناس غلبتهم انفسهم وفساد قلوبهم فدنسوا معتقداتهم وحرفوها حسب اهواهم ومصالحهم كفروا بالله وجلبوا الكفر الينا وللاسف تبعهم الناس بجهل فهم لا يعلمون وهذا ليس عزرا يغتفر ألم يكن لهم اعين يرون بها او اذان يسمعون بها ام لم يكن لديهم عقول يميزون بها الحق من الباطل هم في الذنب سواء دعنا لا نلقي لهم بالا ولا ننشغل بفكرهم المريض ودعنا ننقذ انفسنا من عذاب يوم شديد .

في الصفحات القادمة مفاتيح حل هذا اللغز لمعرفة امعي الحق ام الباطل فتابع بتركيذ وعقل متيقظ فان عرفت انك علي حق فتمسك بما لديك واتبعة حق اتباعة ولاتنساني في دعائك وان صدمت واكتشفت انك كنت علي الباطل فلا تحزن بل يجب عليك ان تفرح لانك الآن صحوت من نوم طويل وابصرت الامور علي حقيقتها ورايتك طريق الحق يضئ فإتبع طريق الحق واعلم ان الله بجانبك وتخشي احد فالله احق ان تخشاه وان كلفك حياتك فان يؤذي الانسان في سبيل الحق اوحتي يموت لهو اشرف من العيش علي الباطل فتمسك بما تؤمن به والكلام ليس لك واحك بل لي ايضا .

احب قبل كل شئ ان الفت انتباهك الي ان هناك فريق من البشر استصعبوا الامر منهم علم انه علي الباطل واستمر فية خوفا من العواقب التي ستحل علية ان ترك طريق الباطل واتخذ من الحق سبيلا هؤلاء هم الجبناء الذين لا عزر لهم اما الله فهم كفروا علي علم .

وهناك فريق اخر وهم كالانعام بل اضل سبيلا انكروا اصلا وجود الله وخرجوا متباهين بكفرهم يحاولون ايهام الناس انهم كفروا وهم علي يقين بانه لا وجود لاله وان الدين ما هو الا مضيعة للوقت وهدر للجهد ؛واكثر ما يدعوا الي السخرية انهم يدعون بانهم علماء وهم اجهل اهل الارض فهم لم يستطيعون تمييز حقيقة انهم وما حولهم بفعل خالق ويدعون ان الكون والمخلوقات خلقوا عن طريق الصدفة واي صدفة تلك التي تخلق هذا النظام الدقيق في ادق تفاصيلة هؤلاء هم من سابدأ معك رحلتي في الرد عليهم .

اما الفريق الثالث من البشر هم من ارجوا ان اكون انا وانت منهم الذين عرفوا الحق فإتبعوة وعرفوا الباطل ف إجتنبوة فهنئا لهم النجاح فيما كلفوا بة فيارب اجعلنا منهم.

فريق الملحدين

لم تخلو الحياة في الماضي_ولن تخلو في الحاضر والمستقبل ون اناس ينكرون الألوهية ويرفضون الدين ويريدون ان يعيشوا مبتورين عن الاصل الذي انبثقوا منة مخلدين في الارض التي درجوا عليها غير مفكرين في اخرة او ثواب اوعقاب !..

انما الحياة في نظرهم احساس عارض يبقي في كتلة من اللحم والعظم لبضع سنين ثم يتلاشي الي الأبد.

كتب احدهم (د.فورد بلات.ترجمة مجلة المختار؛تحت عنوان "متي بدأت الحياة علي الارض") يؤرخ ويعلل لنشأة الحياة علي الأرض، مجتهدا الا يذكر شيئا عن الله قط وناسبا كل شئ الي مجهول مطلق .

فانظر الي هذا الكاتب كيف يجسد الاوهام ويستعرض صورا لا مصدر لها الا ام رأسة فيقول :"لا نستطيع ان نحدد كم من الوقت استغرقت البادرة الاولي من بوادر الحياة لكي تظهر فلم يكن هناك اي تحديد للوقت يومذاك، وفي خلال العصور المظلمة ظلت القطرات تجيش وتضطرب في مياة البحار الفاترة ولا بد ان تجمعات لا نهائية من الذرات قد حدثت في المادة العضوية الهلامية ولكن هذه التجمعات كانت تمحي من الوجود وبينما تمكنت أفضل القطرات تركيبا من البقاء اما القطرات الاضعف فقد انهارت خلال عملية يمكن ان نسميها بالاختيار الطبيعي قبل بدء الحياة وهكذا ظلت العناصر تكافح وتناضل نحو خلق الحياة في سكون وحركة لا تري".

ونحن نتجاوذ عما في هذه الجمل من سرحان يشبة حلم نائم ، او هيمان شاعر ونلقي نظرة اخري علي نبذة من المقال تعرض فيها الكاتب لتكوين "البروتين"من جزيئاتة العديدة !..

وعلماء الدنيا يجمعون علي استبعاد "حكايةالصدفة" في بروذ هذا التكوين الي الحياة لأن التآليف المنسق المحكم الرائع الذي يتم بة هذا التكوين قاطع في انة وليد اشراف اعلي وآرادة مختارة.

بيد ان الكاتب الكفور أراد ان يسرق عقل القارئ فصاغ خلق البروتين في العبارات الاتية :"ظهرت تدريجيا جزيئات أخري جبارة او مجموعة من الجزيئات وهي سلالات معقدة من القطرات الهلامية البسيطة ، وتستمر هذه العملية حتي يتكون في النهاية جزئ البروتين العجيب ، وبعد وقت يبدو كأنة لا نهائي وبعد تفاعلات وامتزاجات كميائية لانهاية لها."

ونحن هنا نتحدث عن الحدث كأنة وقع فجأة عندما اصطدمت ذرات معينة بعضها بالبعض الآخر ، واتحدت معا في تركيب خاص والواقع أننا إكتشفنا فقط ظهور المادة البروتينية في الزمن الماضي ولا يعرف كيف جاءت الي هنا ، ويمكننا ان نقول ان فرصة اتحاد ذرات "الكربون" و"الأكسچين " و"النيتروجين" و"الهيدروجين" وكذلك "الفسفور" ومجموعة من العناصر الفلزية بالنسب اللازمة وفي الظروف الملائمة، ان هذه الفرصة يمكن ان نقارنها بفرصة سقوط مجموعة من اوراق اللعب علي مائدة بعد نثرها في الهواء بحيث يتألف منها مجموعات الارقام مرتبة تماما ، وهذه الفرصة مستحيلة حتي لو ظللنا نكرر التجربة وننثر اوراق اللعب في الهواء كل ثانية وبلا توقف طول التاريخ الانساني.

ثم يقول :"ولكننا رأينا كيف ان الجزيئات أخذت تتطور نحو اشكال اكثر تعقيدا ؛ كما أخذت تصطدم بعضها ب البعض الاخر بسرعة إلكترونية خلال زمن لا نهاية له وفي مثل هذه الظروف يمكن ان تتحقق الفرصة البعيدة جدا يوما ما وان يتكون جزئ البروتين "!! هكذا يزعم الكاتب والتناقض واضح في هذا الكلام فالرجل يقول او لا ان الخلق بطريق الصدفة مستحيل ولو كررنا التجربة طول التاريخ الانساني ثم يعود فيقول " ولكن مع تراخي الزمن وامتداد الليل والنهار وقع المستحيل وامكن الخلق" .

هذا هو الاساس العلمي لانكار الألوهية والزعم ان العالم نشأ من تلقاء نفسة كلام كألاعيب السحرة يزدري العقلا ء خباياة لان اولة يناقض آخرة وآخرة يكذب أولة ونتسائل نحن :"كيف تم خلق البروتين"؟ وفي اي بيئة؟ وبأي قدرة؟ وما مدي إمكانية ان يكون للصدفة من آثار علي تعاقب الليل والنهار في جميع العصور.

يقول الدكتور "فرانك ألن" عالم الطبيعة البيولوجية :"ان البروتين من المركبات الاساسية في جميع الخلايا الحية وهي تتكون من خمسة عناصر وهي "الكربون" و"الهيدروجين " و "النيتروجين" و"الاكسچين" و "الكبريت" ويبلغ عدد الزرات في الجزئ البروتيني الواحد "40000 ذرة".

ولما كان عدد العناصر الكميائية في الطبيعة 92 عنصرا موزعة كلها توزيعا عشوائيا فإن احتمال اجتماع هذه العناصر الخمسة لكي تكون جزئ من جزيئات البروتين يمكن حسابة لمعرفة المادة التي ينبغي ان تخلط خلطا مستمرا لكي يؤلف هذا الجزئ ثم لمعرفة طول الفترة الزمنية اللازمة لكي يحدث هذا الاجتماع بين ذرات الجزئ الواحد.

وقد قام العالم الرياضي السويسري "تشارلز يوجين جاي" بحساب هذه العوامل جميعا فوجد ان الفرصة لا تتهيأ عن طريق المصادفة لتكوين جزئ بروتيني واحد الا بنسبة 1الي 10اس 1600اي بنسبة واحد الي الرقم عشرة مضروبا في نفسة 1600مرة وهو رقم لا يمكن النطق بة او التعبير عنة بكلمات وينبغي ان تكون كمية المادة التي تلزم لحدوث التفاعل بالمصادفة بحيث ينتج جزئ واحد اكثر مما يتسع لة هذا الكون بملايين

المرات ويتطلب تكوين هذا الجزئ علي سطح الارض وحدها عن طريق المصادفة بلايين لا تحصي من السنوات قدرها العالم السويسري بأنها عشرة مضروبة في نفسها 243مرة من السنين.

ويشرح الدكتور "الدمرداش عبدالمجيد سرحان" قانون الصدفة وما يمكن وما لا يمكن فية فيقول " اذا كان لدينا صندوق كبير ملئ بآلاف عديدة من الأحرف الأبجدية فان احتمال وقوع حرف الألف بجوار حرف الميم لتكوين كلمة ام قد يكون كبير ، اما احتمال تنظيم هذه الحروف لكي تكون قصيدة مطولة من الشعر أو خطابا من ابن الي ابية فإنة يكون ضئيلا ان لم يكن مستبعدا.

ولقد حسب العلماء احتمال اجتماع الذرات التي يتكون منها جزئ واحد من الاحماض الامينية وهي المادة الا ولية التي تدخل في بناء البروتينات واللحوم فوجدوا ان ذلك يحتاج الي بلايين عديدة من السنين والي مادة لايتسع لها هذا الكون المترامي الاطراف هذا لتركيب جزئ واحد علي ضئالتة فما بالك بأجسام الكائنات الحية جميعها من نبات وحيوان وما بالك بما لا يحصي من المركبات المعقدة الاخري وما بالك بنشأة الحياة وبملكوت السماوات والارض؟

انة يستحيل عقلا ان يكون ذلك قد تم عن طريق المصادفة العمياء لابد لكل ذلك من خالق مبدع عليم بكل شئ محيط بكل شئ قدر كل شئ ثم هدي